

الكرياء

"المصدر: "النهار 00:00 | 28-12-2021"

يقال أنه من الأفضل عدم الإشادة بالذات كـ لا يقع الإنسان في فخ الكرياء بل التحلّي بالتواضع كـ يعيش ببساطة. عندما يعتقد الإنسان أنه أفضل من البقية ينغلق على ذاته ويرفض قيم الآخرين ويفتح الباب أمام الأحكام المسبقة والتمييز العنصري إلخ.

نتكلّم اليوم عن النرجسية أكثر مما نتكلّم عن التكبير. لا شك أنه يلزمـنا الإهتمام بذواتنا والوثوق بقدراتنا، ولكن علينا التخلص من النرجسية غير الجيدة وهي الكرياء، كـ لا نتباهـي بأنـنا أكبر مما نحن عليه. نَغْرِقُ في النرجسية في حين أنـنا قادرـون على الإنفتاح على الآخر وعلى حبه. فبدلـ أن نجعلـ الحب الذي فيـنا قادرـاً على تخطـي الذات، نحصرـ ذواتـنا في مساحة ضيقـة، ونخسرـ افتتاحـنا على الآخر. هل نريدـ بالفعلـ أن نكذـب على ذواتـنا ونعيشـ في الأوهـام وكأنـنا محـورـ كلـ شيءـ أمـ أنـنا نـريدـ أن نـقطـنـ بـوجودـ الآخرـ فيـ حياتـنا وبـقدـرتـه علىـ مـساعدـتنا علىـ عـيشـ إنسـانـيتـنا؟

يعتقدـ الإنسانـ المتـكـبرـ أنهـ سـبـبـ الأـحـدـاثـ الجـيـدةـ التيـ تحـصـلـ وأنـهـ دـائـماـ مـصـدرـ كـلـ ماـ هوـ أـفـضـلـ،ـ فيـ حينـ أنهـ لاـ يـمتـلكـ دـائـماـ الـقـدـرةـ عـلـىـ رـؤـيـةـ الـأـمـورـ فيـ إـطـارـهاـ الصـحـيحـ،ـ وـهـذـاـ يـعـودـ إـلـىـ جـهـلـهـ لـذـاتـهـ.ـ إنـ حـبـ الـوـاسـعـ لـذـاتـهـ يـجـعـلـهـ يـعـتـقـدـ أـنـهـ سـبـبـ وـجـودـهـ،ـ فـيـ حـيـنـ أـنـهـ بـتـواـضـعـهـ قـادـرـ أـنـ يـنـظـرـ إـلـىـ ذـاتـهـ بـكـلـ جـديـةـ وـبـكـلـ وـاقـعـيـةـ بـعـيـداـًـ عـنـ أـيـةـ مـحاـوـلـةـ لـتـعـظـيمـهـاـ أوـ لـتـهـشـيمـهـاـ.ـ بـالـكـريـاءـ يـتـعـزـزـ إـلـىـ إـنـسانـ لـأـنـ أـفـضـلـ مـنـ الشـخـصـ الـذـيـ هوـ عـلـيـهـ بـالـفـعـلـ وـيـتـمـنـيـ أـنـ يـرـاهـ الـآخـرـونـ كـذـلـكـ.ـ لـاـ يـحـتـاجـ الشـخـصـ المتـكـبرـ إـلـىـ موـافـقـةـ الـأـشـخـاصـ عـلـىـ مـاـ هـوـ عـلـيـهـ.ـ فـهـوـ يـحـبـ ذـاتـهـ إـلـىـ حدـ أـنـهـ يـنـفـيـ أـحـيـاناـ وـجـودـهـمـ وـيـبـالـغـ فـيـ تعـظـيمـ ذـاتـهـ لـدـرـجـةـ أـنـهـ لـاـ يـحـتـاجـ إـلـىـ السـيـطـرـةـ عـلـىـ الـآخـرـ وـإـجـبارـهـ عـلـىـ الإـعـتـرـافـ بـهـ.ـ هـذـاـ لـاـ يـعـنيـ أـنـهـ لـنـ يـحـتـاجـ إـلـيـهـ أـبـدـاـ،ـ لـأـنـهـ،ـ وـهـوـ الـمـبـالـغـ بـتـقـدـيرـ ذـاتـهـ وـالـرـاغـبـ بـالـسـيـطـرـةـ عـلـىـ الـآخـرـ،ـ بـحـاجـةـ إـلـىـ أـنـ يـرـاهـ الـآخـرـونـ قـويـاـ.ـ صـحـيـحـ أـنـهـ لـاـ يـشـكـ بـنـفـسـهـ وـهـوـ أـكـيدـ مـنـ ذـاتـهـ وـلـكـنـهـ بـحـاجـةـ إـلـىـ الـآخـرـ لـأـنـهـ يـدـفعـهـ إـلـىـ الـمـبـالـغـ بـتـقـدـيرـ ذـاتـهـ أـمـامـهـ.ـ لـاـ يـمـكـنـ لـلـشـخـصـ المتـكـبرـ أـنـ يـكـتـفـيـ بـهـذـهـ الثـقـةـ التـامـةـ بـذـاتـهـ وـبـجـمـالـهـ وـبـقـدـراتـهـ،ـ إـنـهـ بـحـاجـةـ إـلـىـ أـنـ يـخـرـجـ كـريـاءـهـ إـلـىـ الـعـلـنـ وـيـعـلـنـهـ مـنـ خـلـالـ الـآخـرـ.

عندـماـ يـرـيدـ إـلـيـهـ أـنـ يـكـونـ أـسـاسـ حـيـاتـهـ وـاستـقـرارـهـ،ـ يـعـيشـ فـيـ حـالـةـ لـأـمـانـ وـيـشـعـرـ أـنـهـ ضـعـيفـ وـمـتـرـوكـ لـذـاتـهـ،ـ وـيـخـافـ أـنـ يـضـيـعـ،ـ فـيـكـونـ فـيـ دـاخـلـهـ صـورـةـ عـلـىـ ذـاتـهـ كـمـاـ لـوـ أـنـهـ مـصـدرـ كـلـ شـيـءـ فـيـ حـيـاتـهـ.ـ يـأـتـيـ الـكـريـاءـ كـتـعـزـيـةـ لـهـ عـلـىـ غـيـابـ الـأـمـانـ وـالـرـخـاءـ وـعـلـىـ الـخـوـفـ مـنـ أـنـ يـرـكـ لـوـحـدهـ.ـ يـرـفـضـ الـمـتـكـبـرـ فـكـرـةـ أـنـ كـيـانـهـ مـعـطـىـ مـنـ آخـرـ كـهـبـةـ وـلـاـ عـلـاقـةـ لـهـ فـيـ أـسـاسـهـ،ـ فـيـحاـولـ أـنـ يـكـونـ قـويـاـ،ـ لـكـنـهـ

يستسلم للضعف، الذي لا يقبل به أصلًا، لأنّه مدعو للعيش معه كي يتبع بحثه واكتشافه لحقيقة إنسانيته والذي لا يمكن أن يتم إلا مع الآخر. هذه حال كُل واحد منا، عندما يقطع ذاته عن المصدر يجد نفسه بحاجة إلى أن يبحث عنمن يحبه لأنّه لا يمكنه أن يعيش بدون حب الآخر. فعندما يريده أن يكون هو المصدر يرفض المصدر الأساسي الذي هو الله ويحرم ذاته من الذي يحبه لذلك بدون شروط. ما ينقص المتكبر هو القبول بحقيقة أنّ هناك من يحبه لذاته.

لا شك أنّ الإنسان قادر على الدفاع عن هويته الخاصة دون القضاء على الآخر وتحطيمه وتهشيمه. لأنّ إستمراره بعيش التكبر كمن يقول: "لا يمكن أن يكون هناك أكثر من إله، وهو أنا. ولكي أحافظ على وجودي، علي أن أبقى بصراع مع الآخر، وأقضي عليه كي أبقى وأستمر. أريد أن أبرز ذاتي من خلال المواجهة. لأنّي لا أفرض هويتي إلا إذا واجهت الآخر، الذي يملك أكثر مني وعلي أن أجده من كلّ ما لديه". يحب المتكبر ذاته لدرجة أنه يرى الآخر صغيراً. وبما أنه يركض وراء الأن، يصبح الآخر منافساً له، عليه كرهه ومواجهته والسيطرة عليه للقضاء عليه.

يأتي الحل بالقضاء على الأنا الفارغة التي تقتل الإنسان. فهو مدعو ليكون موجوداً بالفعل لذاته وللآخر وعندها يمكنه الذهاب نحو الله مصدر وجوده وواهب كيانه. في عصرنا الحالي، يطلب منا أن نفرض ذواتنا، أن نواجهه، أن نبرز قدراتنا، مما يجعلنا بحالة توتّر مستمرة كي نبقى موجودين في حقل العمل وفي العلاقة مع الآخرين.

إنّ الآخر موجود وطرق ملاقاته ممكنة ومجالات العيش بسلام معه واسعة. على المتكبر أن يتدرّب على طلب مساعدة الآخر ونصيحته، وأن يفهم أنه ليس متrocًا لذاته ويعترف أنه ليس لوحده وأنه من غير الممكن أن يصنع الآخر على صورته. فهو غير قادر على السيطرة على كُل شيء وعليه أن يقبل بمحدوديته كي يتمكّن من قبول الآخر ليتقدّم بشكل أفضل في الحياة. فحبه لذاته مهم، شرط أن لا يكون سبيلاً لتحقير الآخر. من لا يقبل المساعدة ويعتقد ذاته دائمًا على حق ويحاول أن يجعل من ذاته محور كُل شيء لا يمكنه أن يكتشف غنى الآخر الذي يعود بالخير عليه.